ولذا فقد كان باستطاعة الفن ان يعالج التناقضات الحياتية بحرية . و كان ذلك باستطاعة المسرح بوجه خاص لأن جوهره هو تصوير التصادمات الانسانية . هكذا أصبح المسرح تسلية الشعب المفضلة . وبلغ عدد المسارح الدائمة في لندن في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ستة مسارح ، أضف الى ذلك ان الممثلين كانوا يقدمون عروضهم في الفنادق ، وان الفرق الجوالة كانت تجوب البلاد من أقصاها الى أقصاها . صحيح ان البوريتانيين حاولوا منع نشاط أولئك الممثلين ولكن الدولة كانت تحميهم ولا تحرم عليهم سوى امرين :

١ــ المساس بالملك والحكام الأحياء .

٢ــ المساس بالمعتقدات الدينية .

وقد التزم الممثلون بهذين الشرطين فكانوا يقدمون عروضا مسرحية تصور مصرع يوليوس قيصر أوريتشارد الثاني أوهنري السادس أوما شابه ذلك ، ثم يدعون المشاهدين في نهاية العرض الى الصلاة معهم والدعاء بدوام صحة الملكة اليزابيث التي كانت تحكم انجلترا آنذاك .

وحل المسرح محل الكتب عند الشعب . وحول الكتاب المسرحيون الى حوار كل ماهو طريف ومشوق في الأدب القديم والجديد . وكان باستطاعة المرء أن يشاهد في الحفلات المسرحية حرب طروادة ومصرع الجمهورية الرومانية ومغامرات فرسان العصور الوسطى وتاريخ حياة الملوك الانجليز . لقد صور المسرح كل شيء بروح النظرة الانسانية التي نشأت في عصر النهضة .

كانت الأخلاق الجديدة التي نادى بها الانسانيون تدعو الانسان الى تطوير تلك الغرسات التي زرعتها الطبيعة في نفسه ، والى أن يكون دائم النشاط والحيوية وتدعوه الى معاناة كل عاطفة والحصول على كل رفاه ممكن في الحياة . والفن الذي ابدعه الانسانيون ، بما في ذلك مسرحيات شكسبير ، يصور أناساً نشيطين اقوياء يتصفون بالعزيمة والتصميم ولا يهابون الاخطار . ان كلا من أبطال ذلك الفن يريد اظهار ذاته كلها وتجربة جميع امكانات الحياة . انهم لايعرفون حدا لاندفاعهم في الحب أوفي العلم أوفي مراتب الدولة .

ولم يكن المشاهدون الذين يؤمون المسرح لمشاهدة أعمال شكسبير ومعاصريه ليهتموا بالأمور اليومية العادية . فالعصر الذي يعيشون فيه هو عصر البحوث العظيمة والمغامرات